الباب الرابع

تحليل تفسير الشيخ محمّد متولي الشعراوي عن آيات العقيدة

البحث الرئسي في هذا الباب هو وصف لمعرفة كيفية فهم الوسطي الشيخ محمد متولي الشعوي في تفسيره عن آيات العقيدة. في السابق، حددت الباحثة عينة البيانات التي ستحلّل إلى ثلاثة أجزاء طبعا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمسائل العقيدة (الإيمان) وهي البحث حول مسألة التكفير لمرتكب الكبائر، ونسبة أعضاء الجسم لله عزّ وجلّ، والقدر التي تعد من مسألة ملحة للغاية و صارت دائما من مجادلة طاولة ومحادثة ساخنة في كل فرقة. وذلك لأن الفهم الصحيح للدين ينقذ المسلمين من الفهم المضلل. في هذا الباب، تحاول الباحثة إيجاد إجابة عن كيفية الفهم الوسطي لمفسر القرن الحديث وهو الشيخ محمد متولي الشعراوي، من خلال تفسيره للعينة البيانات الثلاثة القديمة.

أ. تفسير الشيخ محمّد متولي عن التكفير لمرتكب الكبائر

التكفير هو عمل من أعمال الكفر أي اتهام الآخرين بالكفر إما بين الأفراد أو الجماعات

المختلفة في مفاهم الدينية. التكفير ليس ظاهرة جديدة حدثت في العشرين سنة الماضية مصحوبة بأعمال إرهابية، لكنها حدثت في الأيام الأولى لانتشار الإسلام وتطوره. على الرغم من أن هذا العمل.

التكفيري نشأ في البداية من المتوتّرة السياسية في ذلك الوقت، لكنه هذا العمل في النهاية أصبح أكثرانتشارًا وخطيرًا للغاية بالنسبة لعقيدة المسلمين الأخيرة.

إن ظهور تفاهمات مختلفة من فرقة مختلفة يجعل بعض المسلمين يترددون في اختيار وتحديد الفهم الصحيح لعقيدتهم. مثل فهمهم الشديد لمرتكبي الكبائر، هناك من يتساهل على ذالك ولكن البعض من يبالغ فيها لدرجة وصفهم بأنهم كفار. إن الفرقة التي تتساهل على مرتكبي الكبائر هي المرجئة مع فهمهم أن الإيمان هو معرفة الله ورسوله في القلب حتى لو ارتكب جميع أنواع الكبائر أو الصغرى، حتى لو عبادة الأوثان علانية أو ارتكاب شرك آخر، وفقا للمرجئة أنه لا يزال مؤمنا.[١] وأما الفرقة التي تبالغ في ارتكاب الكبائر لتسميتهم بالكفار هم الخوارج. ومن يدرك

[1]Syandri, “Al-Khawarij dan Al-Murji’ah Sejarah dan Pokok Ajarannya,” *Nakhbatul ‘Ulim Jurnal Bidang Kajian Islam*, Vol. 3, No. 1, 2017, 56-57.

أن الكبائر كافرة يلقب بالمكفرة.[٢]

في الواقع كما نعلم يتفق علماء أهل السنة والجماعة على أنه لا يجوز الحكم على الإنسان بالكفر، خاصة إذا كان من أهل القبلة، لأن ما يحدد الكافر أم لا هو حق الله ليس البشر. والمقصود بأهل القبلة هنا: من قال الشهادة, واعترف بأن لا إله إلا الله، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، فأسلم ولا يعاقب بالكفر بسبب ذنوبه حتى لو هي من الكبائر, إلا الشرك.[٣] وهذا يتوافق مع شرح الإمام الغزالي في كتابه "فصول التفريقة" والذي يرى أنه يجب أن يكون هناك شرح لحدود الكفار وغير الكفار. لكن الشرح يستغرق وقتا طويلا وكتاب في مجلدات. حتى اكتفى بالرسالة الموجزة والأحكام الواردة في كتابه:

> أما الوصية فأن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ماداموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها. والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله بعذر أو غير غذر, فإن التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه.[٤]

والأكثر غرابة، أنهم يعلنون فهمهم بدليل من القرآن. الآيات القرآنية التي يستخدمونها

---

[٢] ناصر بن عبد الكريم العقل، *الخورج أول الفرق في تاريخ الإسلام* (الرياض: دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ١٩٩٨), ٨١.

[٣] محمد أرشد بن عبد الله البنجري، *تحفة الراغبين* (مرتافورا: يايسن فنديديكن إسلام دالم فاكر، ٢٠٠٥)، ٥-٦.

[٤] محمد الغزالى, *فيصل التفريقة بين الإسلام والزندقة* (قاهرة: مكتبة التوقفية, د.س), ٢٦٥.

وانظر أيضا فى كتابه *الإقتصاد فى الإعتقاد* (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٤), ١٣٥.

عادةً لإضفاء القانونية على الكفر هي سورة المائدة الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٧.[٥] لفهم معنى هذه الآيات لا يكفي لمعرفة الترجمة فقط، ولكن لفهم كيفية التفسير من تلك الآيات. هنا سيعرض الباحثة تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي للأدلة التي اعتمدها المتكفيرون:

... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)

فبحث الشعراوى بالسؤال: ماذا يعنى الحكم بما أنزل الله؟

نعلم أن الحق سبحانه وتعالى جعل لكل قضية مخالفة فى الكون حكما, فإذا أردت أيها الإنسان أن تحكم فى أمر فعليك أن تبحث عن جوهره بسلسلة تاريخ هذا الأمر ونجد أن قمة كل الأمور هى العقيدة, وهو وجود الواجب الأعلى وهو الله. فإن حكمت بأنه غير موجود فلذالك هو الكافر. وإن آمن الإنسان بالله ثم جاء الى أحكام الله التى أنزلها وقال: لا, ليس من المعقول أن يكون الحكم هو هكذا, فهذا لون من رد الحكم على الله وهو لون من الكفر. أما إن آمن الإنسان بالحكم وقال: إننى أصدق حكم الله, ولكن لا أقدر على نفسى فهل هذا كفر؟ أم هذا ظلم؟ إنه ليس كفرا, ويكون ظلما إن كان حكما بين اثنين. وهو فسق إن كان بين الإنسان وبين نفسه لأنه يفسق عن الحكم كما تفسق الرطبة عن قشرتها.

عندما فسر الشعراوي هذه الآية بدأ بسؤال ما معنى الشريعة التي أنزلها الله؟ يمكن تصنيف التفسير بنموذج السؤال والجواب في كتاب التفسير الشعراوي على أنه مهيمن لأن بداية هذا التفسير هي لغة شفهية/لسان، بحيث يعتبر الوحي باللغة الدياليكتيكية أسرع وأسهل في الفهم من قبل

[5]St. Jamilah Amin, "Penetapan Hukum Bagi Pelaku Dosa Besar, Iman dan Kufur dalam Aliran Teologi," *Diktum Jurnal Syariah dan Hukum*, Vol. 12, No. 1, 2014, 108.

المستمع. وأوضح الشعراوي أن كل قضية لها نصوص قانونية. وإذا أراد المرء تحديد قانون أو الحكم شيء ما، فعليه أن ينظر إلى السلسلة التاريخية لطبيعة الحكم المصنوع. يشرع الحكم على كل الأحكام للحفاظ على نقاء العقيدة الإسلامية، وهي الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى. إذا أنكر المسلم وحدانية الله فقد كفر. ومع ذلك، إذا نظرنا إليها من وجهة نظر إيمان المسلم بأحكام التي ينزل الله سبحانه وتعالى، قسمه الشعراوي إلى الرتبة غير الكفر، وهم ظالم وفاسق. إذا كان ينكر أحكام الذي وضعه الله أو يحتقره ويؤمن أن الأحكام الوضعي أفضل أو معادل ومعقول، فهو قد ارتكب فعل الكفر. أما إذا برر (لم ينكر شرع الله) ولم يحكم بها فهو ظالم أو طاغية. في هذا السياق الواقع، هناك أوجه تشابه بين الظالم والفاسق، أي أنهما ينتهكان شريعة الله، فقط الظالم هو أكثر تحديدًا لانتهاك حقوق الإنسان لأنهم لا يخضعون لشريعة الله. أما الفاسق مكلف مسلم له إطار من الواجبات التكليفيّة لكنهم يرتكبون مخالفات لأنهم خارج الإطار.

فيما يلي شرح الفسق بحسب الشعراوي الذي يتضمن بعد ذلك آيات متشابهة مع مراتب/طريقة مختلفة وهي الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ من سورة المائدة:

فالفاسق هو من له إطار من التكليفات ويخرج عن هذا الإطار كالرطبة التى خرجت من قشرتها. ومادامت الرطبة قد خرجت من قشرتها عرضة للتلوث. إذن فإن

سمعت قول الله:

((... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) المائدة: ٤٤

((... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) المائدة: ٤٥

((... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) المائدة: ٤٧

فتذكر أحكام الله وحاول أن تقدر على نفسك. وقيل: إن ذالك لليهود, لأن الحق

تعالى قال: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)) [المائدة: ٤٤] . وقيل: إن الثانية جائت للنصارى الذين لم يحكموا بالإنجيل. ولنا أن تقول ردا على مثل هذه الأقوال: أمن الممكن أن يكون ذالك للأديان السابقة على الإسلام وليس موجودا بالإسلام؟ ذالك أمر لا يقبله العقل أو المنطق, فهى آيات نزلت فى مناط الحكم عامة. فإن حكم الإنسان فى قضية القمة وهى العقيدة بغير الحق, فلذلك هو الكفر. وإن رد الإنسان الحكم على منشئه — وهو الحق الأعلى– فهذا لون من الكفر. وإن آمن الإنسان بالقضية وهو مؤمن بالإله فغلبته نفسه فهذا هو الفسق. وإن حكم إنسان بين اثنين وحاد ومال عن حكم الله فهذا هو الظلم.

هناك اختلاف في الرأي بخصوص الغرض الأساسي من هذه الآيات، يقول البعض أن الآية الأولى موجهة إلى اليهود الذين يغيرون شريعة الله كما ورد في التوراة، والآية الثانية موجهة إلى النصارى لأنهم غير شرعيين كما هو مذكور في الإنجيل الكتاب المقدس. ثم يطرح السؤال: وماذا عن الإسلام؟ هل هذه الأحكام خاصة بالديانات السابقة فقط؟ أجاب الشعراوي أن الأحكام يسري بشكل عام. أي: إذا كان لا يؤمن بالحق عزّ وجلّ (من حيث الإيمان) فهو كافر ونحو ذلك كما

سبق بيانه.

إذن ف "كافرون" و "ظالمون" و "فاسقون" تقول لنا: إن الألفاظ اختلفت باختلاف المحكوم به. فلا يقولن أحد: إن تلك آية نزلت لتلك الفئة، وتلك الآية نزلت لفئة أخرى، وثالثة نزلت لفئة ثالثة، ولكنها أحكام عامة لمناط التكليف عامة. والحق قال في بداية كل حكم "ومَن" ومَن كما نعلم كلمة عامة. والدليل على ذلك أن من يحكم بغير ما أنزل الله إنما هو يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً ورد الحكم على الله. وقال الحق في الآية اللاحقة: ((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النفس بالنفس)) [المائدة: ٤٥]

إنها أحكام تتعلق بجرائم، وعقوبات على جرائم، وهنا يكون الحكم بغير ما أنزل الله ظلماً. إذن فالأمر يختلف حسب المحكوم عليه.

وهكذا فإن مصطلحات "كافر" و "ظالم" و "فاسق" لها أحكام شرعية مختلفة. عندما يقال أنه كافر/ظالم /فاسف بحسب حاله في ذلك الوقت بناءً على الأحكام الموجودة ويسري الأحكام بشكل عام لأن الله يبدأ كلمته بالكلمة من لا تقتصر على دائرة واحدة فقط. وقال الشعراوي: إن من لا يحكم بحكم الله ويرفضه فهو يشتري آيات الله بثمن بخس. من وجهة نظر الشعراوي، فإن هذه الآيات الثلاث لها طبقات الخاصة. بحيث يرفض بشكل غير مباشر فكرة أنه من السهل جدًا تزوير التكفير بحجة هذه الآية لأن الكفر حسب قوله لديه أحكام خاصة في استخدامها، أي هم الذين لا يؤمنون بالله وينكرون أو يسخرون من حكم أو شريعته.

بالإضافة إلى ذلك، وجدت الباحثة حجة من الشعراوي الذي يناقش أكثر حول حكم التكفير

في كتابه " أنت تسأل والإسلام يجيب" حيث يقول أن الأشخاص الذين يكفرون المسلمين الآخرين إذا كان الاتهام متواقفاً بالواقع فإن الاتهام بالنسبة لهم صحيح له. أما إذا لم يكن الاتهام صحيحا فالمتهم هو الكافر. وهذا وفق حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري مسلم:

> وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه؛ أنه سمعَ رسولَ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: "ومَنْ دعا رجلاً بالكفْرِ أو قال: عدوَّ الله! وليسَ كذلك؛ إلا حارَ عليهِ". رواه البخاري، ومسلم. (حارَ) بالحاء المهملة والراء، أي: رجع.[٦]

أجاب الشعراوى عن تلك المسألة: إذا قال واحد لآخر "يا كافر" فمعني أن أحدهما بالضرورة كافر, فهى إما أن تكون صدقا فيمن قيلت له, وإما كذب ممن قالها فيكون قائلها هو كافر. لكن القضية هى من يملك الجرأة على تكفير شخص آخر.[٧]

وبعد إجابته بهذا الجواب، رد الشعراوي بأنه حتى العالم صاحب العلم الديني الواسع لا يجرؤ على اتهام من قال لا إله إلا الله بأنه كافر بسبب شدة العقوبة إذا كان الاتهام غير صحيح. فلماذا يكفر إخواننا المسلمين؟ يجوز له أن يقول إن أخاه المسلم لا يمارس أعماله وفق حكم الله، أو أن أفعاله مخالفة لحكم الله، ولكن هل يصح أن يُدعى أنه كافراً؟ في هذه الحالة، يجب إعادة

---

[٦] محمد ناصر الدين الألباني, *صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب* جزء ٣ (الرياض: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، ٢٠٠٠), ٥٥.
[٧] محمد متولى الشعراوي, *أنت تسأل والإسلام يجيب* (دار القدس: د.م, ٢٠٠٣), ١٧٢-١٧٣.

النظر فيما إذا لم ينفذ شريعة الله بسبب العصيان أم بسبب الكسل؟ إذا كان بسبب الإنكار، فيمكن أن يعاقب على أنه كافر، ليس بسبب أفعاله التي لا تتوافق مع أحكام الله ولكن لأنه كفر بحكم الله. وإن كان بسبب الكسل لا يقال على أنه كافر حتى أجله، وإذا مات فلا يزال يغسل ويصلى ويكفن ويدفن كمسلم عادة. حتى لو ارتكب المسلم من كبائر الذنوب مثل الزنا وشرب الخمر والربا، إلا أن ذلك لا يزيله بالضرورة عن العقيدة (كافر). إن الله يأمر باعاقوبات لمن يخالف أحكم الله، وهذه العقوبات تجري لمسلم الذي يخالفه. إذا كان كافراً، فلا يمكن بالطبع أن يعاقب على مخالفته لأن العقوبة تنطبق على المسلمين فقط.

وبهذا، كان تفسير الشعراوى فى قضية التكفير على مرتكب الكبائر يدخل فى فئة الوسطاء لأنه يتفق مع الحدود التى اتفقت عليها الجمهور العلماء كما سبق وضحه. وبالإضافة إلى ذلك، يعارض الشعراوي بشدة التساهل في كفر الآخرين لأنه من حق الله. وفي الوقت نفسه، يمكن القول إن المسلم الذي يرتكب الكبائر هو فاسق/ظالم بسبب أفعاله التي انحرفت عن أحكام الله سبحانه وتعالى.

ب. تفسير الشيخ محمّد متولي عن نسبة أعضاء الجسم لله عزّ وجلّ

لتعرف تفسير الشعراوي عن نسبة أعضاء الجسم إلى الله سبحانه وتعالى, تذكر الباحثة التالي بعض تفسيراته هذا الأمر في سورة البقرة/٢: ٢٥٥ (كرسي الله)، البقرة/٢: ١١٥ والقصص/٢٨:٨٨ (وجه الله)، والسورة الأعراف/٧:٥٤ (استوى)، والفتح/٤٨:١٠ (يد الله). هذه الآيات من آيات متشابهة التي تفهم بشكل مختلف بالنسبة لبعض المجموعات لتؤدي إلى تفاهمات مختلفة وحتى أن بعضها يختتم بفهم متطرف، مثل المشبهة والمجسمة اللتان تفهمان الآيات بمعناها الحقيقي/الحرفي فقط. لذلك من الضروري الحرص في فهم آيات المتشابهات حتى لا يسير فهم المسلمين في الاتجاه الخاطئ والمضلل. هنا ستشرح الباحثة كيف فهم المفسر من القرن الحديث يثير الإعجاب دائمًا في قلوب جماعته، وهو الشيخ محمد متولي الشعراوي. وكما يلي تفسيره لآيات المتشابهات المذكورة السابقة:

١. البقرة/٢: ٢٥٥ عن كرسي الله

... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)

وقوله سبحانه: {مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السماوات والأرض} يعلمنا أن الحق فيما يتكلم به عن نفسه ولخلقه فيه نظائر، كالوجود، هو سبحانه موجود وأنت موجود، كالغني هو غني وأنت غني، كالعلم هو عالم وأنت تكون عالماً، فهل نقول: إن الصفة لله كالصفة عندنا؟ لا، كذلك كل ما يرد بالنسبة للغيب فيما يتعلق بالله إضافة أو وصفاً؛ لا تأخذها بالمناسب عندك؛ بل خذها في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} . فإذا قيل

لله يد، قل: هو له يد كما أن له وجوداً؛ وبما أن وجوده ليس كوجودي فيده ليست كيدي بل افهمها في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، فإذا قال: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ} نقول: هو قال هذا، ومادام قال هذا فسنأخذ هذه الكلمة في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} . فلا تقل له كرسي وسيقعد عليه مثلنا، لا. لقد وجدنا من قال: أين يوجد الله؟! {متى وجد؟} {وقلنا ونقول: «متى» و «أين» لا تأتي بالنسبة لله، إنها تأتي بالنسبة لكم أنتم، لماذا؟ لأن «متى» زمان و «أين» مكان. والزمان والمكان ظرفان للحدث، فالشيء الحادث هو الذي له زمان ومكان، مثال ذلك أن أقول: «أنا شربت» ومادام قد حدث الشرب فيكون له زمان ومكان، لكن هب أنني لم أشرب، أيكون هناك زمان أو مكان؟} لا، فمادام الله ليس حدثاً فليس متعلقاً به زمان أو مكان، لأن الزمان والمكان نشأ عندما خلق الله وأحدث هذا الكون، فلا تقل: «متى» لأن «متى» خُلِقَت به، ولا تقل «أين» لأن أين خُلِقَت به ولأن «متى» و «أين» ظرفان؛ هذه للزمان، وهذه للمكان، والزمان والمكان فرعا الحديث. وعندما يوجد حدث فقل زمان ومكان.

في هذه الآية تأكد الباحثة على وجه التحديد البحث حول كرسي الله لأنه حسب بعض الجماعات هناك من يفهمها بمفاهيم مختلفة من أجل التوصل إلى استنتاج متطرفة سواء أكان متطرفا يمينا (يفهمه كما هو/نصي) أو يسارا (ينكر بتعطيل صفة الله). ثم كيف فهم الشعراوي؟

قبل بحث الشعراوي تفسيره ب"كرسي الله"، قال أولاً أن الله له صفة الوجود كما أن للإنسان أيضًا صفة الوجود، والإنسان غني والله غني أيضًا، و للإنسان بصير ولله بصير أيضًا، وغير ذالك. من أجل ذالك تأتي السؤال هل صفة الله هي كصفة الإنسان أم العكس؟ الجواب بالطبع لا، وقد اتفق عليه جمهور العلماء. لذلك، كل المغيبات خاصة عندما يتعلق بأمر بالله سبحانه وتعالى التي

تُنسب بعد ذلك بالأشياء المظهرة للعين المجردة، مثل البشر والأشياء وغيرها، فلا تستنتج أن الأمرين متماثلان/متساويان، بل تعتقد أن كل شيء لا يجب أن يكون متماثلا، ولا سيما الله سبحانه وتعالى. قال الله عز وجل {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}. شرح الشعراوي بلغة جدلية حتى يسهل فهمها، فقال إذا قيل لله يد فقل إن له يد كما هو موجود، لكن وجوده ليس كوجودي، ويديه ليس كيدي. مثلما يصنع الإنسان الخبز أو أي شيء آخر، هل ما يصنعه مثل الذي يصنعه؟ بالطبع لا. لذلك فإن كل ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى من جوهره وصفاته وأفعاله، يعيده بخاتمة أساسية وهي كلماته عز وجل في سورة الشورى الآية ١١ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وبالمثل مع كرسي الله، فإنه لا يعني أن كرسي الله مثل كرسينا المعتاد الذي جعل جلوسنا لأن الله مختلفًا مع مخلوقاته .كلمتان لا تليق مع الله سبحانه وتعالى وهي "متى" (للوقت) و"أين" (للمكان) لأن كل شيء لا يتغير بهاتين الكلمتين.

استنادًا على شرح الشعراوي السابق، سيلاحظ كيف فهمه لكرسي الله قد أوضحه ببسيطة ويسيرة وعقلانية بحيث يسهل على جميع الدوائر التقاطه. بخلاف ذلك، فهو يرفض رفضًا قاطعًا أولئك الذين يساوون بين صفة الله ومخلوقاته. فكيف يفسر الشعراوي معنى كرسي الله؟ إليكم

الشرح:

إذن فما دام الله ليس حدثاً، فإياك أن تقول فيه متى، وإياك أن تقول فيه أين، لأن «متى» و «أين» وليدة الحدث. وقوله الحق: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ} نأخذه كما قلنا في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، الكرسي: في اللغة من الكِرْس. والكِرْسُ هو: التجميع، ومنه الكراسة وهي عدة أوراق مجمعة، وكلمة «كرسي» استعملت في اللغة بمعنى الأساس الذي يُبنى عليه الشيء، فمادة «الكرسي» (الكاف والراء والسين) تدل على التجميع وتدل على الأساس الذي تثبت عليه الأشياء؛ فنقول: اصنع لهذا الجدار كرسيًّا، أي ضع لهذا الجدار أساساً يقوم عليه. وتطلق أيضاً على القوم والعلماء الذين يقوم بهم الأمر فيما يشكل من الأحداث، والشاعر العربي قال: «كراسي في الأحداث حين تنوب» أي يعتمد عليهم في الأمور الجسيمة.

كن حذرًا في استخدام كلمتي "متى" و"أين" لأن الكلمتان مرتبطان فقط بمخلوقات الله المتغيرة. أولا، بدأ الشعراوي في تفسير كلمة كرسي من خلال أخذ أصل الكلمة القريبة منها الكِرْسُ أي الجمع. تعني, الكرسي عبارة عن مجموعة من الخشب على شكل كتاب وهو عبارة عن مجموعة من الأوراق. في حين أن كلمة الرئيس نفسها تعني لغويًا الأساس/الدعم/سند/ركن الذي يمكن تفسيره على أنه كرسي هو الأساس الذي يصنع شيئًا قويًا. أي أن الكرسي على نطاق واسع شيء يجعل الناس يعتمدون عليه ليصبحوا أقوياء في الأمور الجادة.

وحين يُنسب شيء من ذلك للحق سبحانه وتعالى. فإن السلف لهم فيها كلام والخلف لهم فيها كلام، والسلف يقولون: كما قال الله نأخذها ولكن نضع كيفيتها وتصورها

في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، وبعضهم قال: نؤولها بما يُثبت لها صفة من الصفات، كما يثبتون قدرة الحق بقوله الحكيم: {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: ١٠] أي أن قدرة الله فوق قدرتهم، وكما قال سبحانه عن قدرته في الخلق: {والسمآء بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات: ٤٧] .إن كمال قدرة الله أحكمت خلق السماء، والحق سبحانه مقدس وَمُنَزَّهٌ عن أن يتصور المخلوق كلمة «يد» بالنسبة لله. ونحن نقول: الله قال ذلك، ونأخذها من الله؛ لأنه أعلم بذاته وبنفسه، ونُحيلها إلى ألاَّ يكون له شبيه أو نظير، كما أثبتنا لله كثيراً من الصفات، في خلق الله مثلها ومع ذلك نقول: علمه لا كعلمنا، وبصره لا كبصرنا، فلماذا يكون كرسيه مثل كرسينا؟ . فتكون في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} .

يختلف علماء السلف والخلف في آراءهم عن نسبة الأعضاء إلى الله سبحانه وتعالى. وذهب العلماء السلفيون وجوب الإيمان بها، لأنها واردة في كلامه (القرآن)، ولكن مسألة الكيفية والصورة لا يعلمها إلا الله، ولا ينفصل بالتأكيد عن {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} أي أنه مهما يكن تفكير الإنسان به فلن يكتشف حقيقة الأمر. يأمرنا الله أن نفكر في آيات قدرته ليس في ذاته. وسنفهم وحدانية/قدرة الله عز وجل من خلال آياته (القرآن، والكون، والإنسان نفسه) فإن ذلك سيقربنا إليه. وأما علماء الخلف فيجادلون بوجوب تأويلاته بالصفات التي تليق بالله سبحانه وتعالى، كلفظة "يد" التي ترد بصفات قدرته. كما نعلم من قبل، يعارض الشعراوي بشدة إسناد أعضاء الجسم إلى الله سبحانه وتعالى بمعنى مساواته أو متشابهاته بخلائقه. الله وحده يعلم كيف هو ولا يمكننا أن نساوي ما فينا به، لأن قوتنا تختلف تمامًا عن قوته التي تشمل السماء والأرض، ومعرفتنا ليس كمعرفة الله

التي تشمل كل شيء بالتفاصيل، الكرسي الذي عادة نستخدمه مع كرسيه، وما إلى ذالك.

والعلماء قالوا عن الكرسي: إنه ما يُعتمد عليه، فهل المقصود علمه؟ . نعم. وهل المقصود سلطانه وقدرته؟ . نعم، لأن كلمة «كرسي» توحي بالجلوس فوقه، والإنسان لا يجلس عن قيام إلا إذا استتب له الأمر، ولذلك يسمونه «كرسي الملك» ؛ لأن الأمر الذي يحتاج إلى قيام وحركة لا يجعلك تجلس على الكرسي، فعندما تقعد على الكرسي، فمعنى ذلك أن الأمر قد استتب، إذن فهو بالنسبة لله السلطان، والقهر، والغلبة، والقدرة.

نظرا بأن معنى أصل الكرسي هو شيء يمكن الاعتماد عليه أو الاحتفاظ به، فيمكن أن يكون المقصود بالكرسي هنا هو العلم أو الحاكم أو السلطة أو القدرة. لأن الناس سيجلسون مسترخين فقط عندما تنتهي شؤونهم أو يرضوا، لذلك يطلق عليهم عرش الملك. إذا كانت شؤونه إحتفانة ولم تنته فبالطبع لا يستطيع الجلوس ويتحرك لإتمام شؤونه.

في هذه الحالة، يفهم الشعراوي معنى كلمة الكرسي كما فعلها علماء الخلف، يعني يؤوّلها بمعنى يليق بالله سبحانه وتعالى هو الحاكم، السلطة، الشخص المتفوق.

٢. البقرة/٢: ١١٥ والقصص/٢٨: ٨٨ عن وجه الله

لا كل الإنسان يفهم القرآن بطريقة متساوية. لقد بحثنا سابقاً كيف فهم الشعراوي في تفسير الآيات التي تتحدث عن يد الله. وبعد ذلك، ستبحث الباحثة فهم الشعراوي للآية التي تتحدث

عن وجه الله سبحانه وتعالى الذي يرد في سورة البقرة/٢: ١١٥ والقصص/٢٨:

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيم (١١٥)

وسبحانه القائل: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله} [البقرة: ١١٥]

إذن فوجه الله – هنا – هو الجهة التي يرتضيها، والإنسان يتجه بوجهه إلى الكعبة في أثناء الصلاة. وإياك أن تظن أنك حينما تولي وجهك صوب الكعبة أنها وجه الله؛ لأن الله موجود في كل الوجود، فأي متجه للإنسان سيجد فيه الله، بدليل أننا نصلي حول الكعبة، وتكون شرق واحد وغرب آخر، وشمال ثالث، وجنوب رابع، فكل الجهات موجودة في أثناء الطواف حول الكعبة وفي أثناء الصلاة، والكعبة موجودة هكذا لنطوف حولها، ولتكون متَّجَهنا إلى الله في جميع الاتجاهات. {فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله} [البقرة: ١١٥] أي الجهة التي ارتضاها سبحانه وتعالى.[٨]

عندما سمع هذه الآية، سنتذكر على الفور حول الحدث التاريخي في الإسلام وهو استبدال قبلة للمسلمين الذين واجهوا بيت القدس في البداية لمدة ١٦ شهرًا وأصبح نحو قبلة النبي إبراهيم، وهي بيت الله/المسجد الحرام (الكعبة). وانتقد اليهود ذلك لاحقًا حيث اعتقدوا أن المسلمين يبتعدون عن القبلة التي كانوا يواجهونها حتى الآن. فنزلت هذه الآية رداً على انتقاداتهم التي أثارت الشكوك في نفوس المسلمين.

وأوضح الشعراوي أن معنى كلمة الوجه في هذه الآية هو الاتجاه الذي يريده وهو الكعبة وهي

[٨]محمد متولى الشعراوى, *تفسير الشعراوى* جزء ٥ ..., ٢٦٦٧.

قبلة المسلمين في الصلاة. ومع ذلك، فإن الشعراوي ينفي الناس الذين يعتقدون أن الكعبة نفسها هي وجه الله لأن الله موجود في كل الاتجاهات، وأينما كان اتجاه الإنسان، فهم يواجهون الله سبحانه وتعالى. ويقوي الشعراوي تفسيره بإضافة الحجة القائلة بأنه عندما يصلي المسلم في مواجهة الكعبة، فإن الحقيقة هي أن موقع الكعبة يقع بالضبط في مركز الأرض الذي يربط بين اتجاهات مختلفة، مثل الشرق والغرب، وكل الاتجاهات. الكعبة هي أيضًا محور اهتمام المسلمين عند أداء الطواف وهو أحد من شروط الحج الشرعية. وهكذا في هذه الآية، يفسر الشعراوي كلمة الوجه على أنها الاتجاه الذي يرضى عنه الله سبحانه وتعالى، وليس الوجه البشري بشكل عام.

وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٨٨)

ومعنى "هالك" البعض يظن أن الهلاك خاص بما فيه روح كالإنسان والحياون, لكن لو وقفنا عند قوله تعالى: (لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَة وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَة ... الأنفال: ٤٢). إذن: فالهلاك يقابله الحياة, فكل شيء يهلك كانت له الحياة تناسبه وإن كانا لا نفهم إلا حياتنا نحن, والتى تذهب بخروج الروح.

وعندما نسمع قول الحق: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]

فإننا نتساءل: مالمراد بالوجه هنا؟

إن أردنا الوجه الذي يشبه وجوهنا فهذا وقوع في المحظور، لأن كل شيء متعلق بالله سبحانه وتعلى نأخذه على ضوء «ليس كمثله شيء» نقول ذلك حتى لا يقولن قائل: مادام وجه الله هو الذي لن يهلك يوم القيامة فهل تهلك يده أو غير ذلك؟ . لا؛ إن الحق حين قال: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ} فالمقصود بذلك ذاته فهو سبحانه وتعالى منزه عن

التشبيه. {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ} الوجه فى عرفنا ما به المواجهة فى الإنسان, وكل شيء يصف به الحق سبحانه نفسه علينا أن نصفه سبحانه به بناءً على وصفه فى إطار قوله سبحانه «ليس كمثله شيء».

ومعنى "إلا وجهه" أى: إلا ذاته تعالى, ولم يقل: إلا هو, لأنه تعالى ليس شيئا. وللوجه هنا معنى آخر كما نقول: فعلتُ ذالك ابتغاء وجه الله يعنى: فعلت والله فى بالى, فالمعنى: كل شيء هالك إلا ما كان لوجه الله, فلا يهلك أبدا لأنه يبقى لك وتنال خيره فى الدنيا وثوابه فى الآخرة.[٩]

وبعد ذلك، تستخدم فرقة المجسمة آية أخرى لتؤكد فهمهم عن وجه الله وهي سورة القصص الآية ٨٨. وفي هذه الآية، أولا يشرح الشعراوي معنى كلمة "هنالك" التي عادة يفهمها بعض الناس لشيء له روح، مثل البشر والحيوانات. ولكن إذا نظرنا إلى سورة الأنفال الآية ٤٢ كلمة "هنالك"

واستخدامها أيضا لكل ما له حياة لا يقتصر على شيء يحتوي على روح فقط، مثل النباتات والكائنات الحية الدقيقة (اللِقاح والجرثومة) وما إلى ذلك.

المبحث الرئيسي لهذه الآية هي كيف يفهم الشعراوي كلمة الوجه التي تقترن بذات الله تعالى؟ كرر الشعراوي أن وجه الله ليس كوجه الإنسان (ليس كمثله شيء) فحينئذ يطرح سؤال بخصوص هذه الآية، إذا لم يهلك وجه الله يوم القيامة، فكيف عن يديه وغيرها؟ وأوضح الشعراوي أن معنى

[٩] محمد متولى الشعراوى, *تفسير الشعراوى* جزء ١٨ ..., ١١٠٥٢.

الوجه في هذه الآية هو ذات عز وجل. أن ذات الله سيبقى دائمًا حتى لو يهلك العالم ومحتوياته وعاد الإنسان إلى حضرته تعالى.

من الشرحَين السابقَين حول آيات القرآن التي تتحدث عن وجه الله، وهي: البقرة/٢: ١١٥ والقصص/٢٨: ٨٨ أُستنتِج أن الشعراوي يفهم الكلمة وجه في وفق بحسب سياق الآية. في سورة البقرة الآية ١١٥ يفهم الشعراوي كلمة الوجه في الاتجاه الذي يرضيه. وفي الوقت نفسه، في سورة القصص الآية ٨٨، يفهم الشعراوي كلمة الوجه بذاته. وهذا يثبت أن الشعراوي استخدم أيضًا طريقة التأويل في تفسيره ثم وفقها مع سياق الآية من لإنتاج فهم لائق ومقبول بسهولة لعامة الناس.

٣. الأعراف/٧: ٥٤ عن استوى

كما هو معلوم أنه في القرآن لا يحتوي على آيات محكمات فقط، بل آيات متشابهة أيضاً تتعلق بذات الله سبحانه وتعالى كما أوضحت الباحثة من قبل، وفهذه المرة ستباحث الباحثة فهم الشعراوي المتعلق بآية المتشابهات المتعلقة ب"استوى" لله الموجودة في سورة الأعراف الآية ٥٤:

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)

وسبحانه يقول: {ثُمَّ استوى عَلَى العرش ... } [الأعراف: ٥٤]

ولابد أن نعرف العرش ما هو. وسبحانه يقول في ملكة سبأ: { ... وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} [النمل: ٢٣]. فالعرش إذن هو سرير الملك؛ لأن الملك لا يجلس على العرش إلا بعد إن تستقر الأمور. فكأن قوله: {استوى عَلَى العرش} كناية عن تمام الأمور؛ وخلقها وانتهت المسألة. لكن العلماء حين جاءوا في {استوى}، اختلفوا في فهمها؛ لأن العرش لو كان كرسياً يجلس عليه الله، لكان في ذلك تحييز لله ووضعه وضمه في جرم ما. وسبحانه منزه عن أن يحيزه شيء. ولذلك أخذ العلماء يتلمسون معاني لكلمة {استوى} منهم من قال: إن معناها هو قصد إليها بخلقه واختراعه، ومنهم من قال: المقصود بها أنه استعلى وارتفع أمره، ومنهم من قال: «صعد» أمره إلى السماء واستند إلى قوله الحق: {ثُمَّ استوى إِلَى السمآء وَهِيَ دُخَانٌ ... } [فصلت: ١١]. وكلها معانٍ متقاربة. وجماعة من العلماء أرادوا أن يخرجوا من التشبيهات؛ فقالوا: المقصود ب «استوى» أنه استوى على الوجود، ولذلك رأوا أن وجود العرش والجلوس عليه هو سمة لاستقرار الملك. وحتى لا ندخل في متاهات التشبيهات، أو متاهات التعطيل نقول: علينا أن نأخذ كل شيء منسوب إلى الله في إطار: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]

في الخطوة الأولى يناقش الشعراوي معنى العرش نفسه المذكور في سورة النمل الآية ٢٣ عندما يتحدث الله عن مملكة سبأ. العرش يعني سرير الملك، مما يعني أن الملك لن يكون قادرًا على الاسترخاء في عرشه إذا لم تكتمل جميع شؤونه. والخطوة الثانية ، يفهمها الشعراوي "استوى عَلَى العرش" على أنها كناية (تعبير يستخدمه الناس بشكل شائع والمقصود ليس المعنى الحقيقى).كناية هذه الآية هي تعبير يدل على أن جميع المشاكل الموجودة قد تم حلها.

اختلف العلماء في فهم هذا كلمة "استوى"، إذا فسر العرش على أنه كرسي ، إذن "استوى"

يمكن معناه على أنه فعل الجلوس مع موضوع الله عز وجل. ومع ذلك، كما نبحث في وقت سابق أن الله سبحانه وتعالى قدوس على كل شيء. وهذا يتطلب من العلماء أن يستطْلعوا البحث عن المعنى الناسب والائق لكلمة "استوى". حتى أخيرا، أن هناك ثلاثة معان قدمها العلماء في هذه الآية، الأول: هو لخلق، والثاني: هو زيادة أو رفع أمره، والثالث: هو رفع أمره إلى السماء (استنادا إلى قول الله تعالى في سورة الفصّلت الآية ١١). ولو أن المعاني الثلاثة متشابهة، ولكن الغرض من هذا بحث المعنى ليس سوى الخروج من فهم التشابه لله سبحانه وتعالى.

وهكذا، يتفق العلماء على أن كلمة "استوى" يفهمها على أنها شكل مجازي لاستقرار وقدرته تعالى الكاملة على كل شيء. حتى لا يكون هناك متاهة يشكك في معنى الكلمة "استوى" من خلال اعتبارها مثلا أو حاجزا/إلغاءا لصفته العظيمة. لأن كل ما يعتمد على الله لن يخرج من كلمته التي تقرأ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

فحين يقول سبحانه:{يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ... } [الفتح: ١٠]

ونحن نفهم أن لليد مدلولاً، والقرآن لغة عربية يخاطبنا بها سبحانه، فالقول أن لله يداً فهذا دليل على قدرته. واستخدام الحق كلمة اليد هنا كناية عن القدرة. والإنسان عليه أن يأخذ كل شيء منسوب إلى الله مما يوجد مثله في البشر، في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، فنقول: سبحانه له يد ليست كيد البشر، وله وجود لكنه ليس كوجود البشر، وله عين ليست

كعيون البشر. وله وجه ليس كوجه أحد من البشر. ولذلك حينما سئل سيدنا الإمام مالك عن هذه المسألة قال لمن سأله: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة» وأراك رجل سَوْء! أخرجوه. نعم السؤال عنه بدعة لأنه يدخل بنا في متاهة التشبيه ومتاهة التعطيل.

بالإضافة إلى ذالك، أن الشعراوي يقلد هذا البحث "استوى" بكيفية العلماء في فهم كلمة "يد" التي توجد في سورة الفتح الآية ١٠ بعتبار معناها على أنها كناية مما يعني إثبات قدرته. ومرة أخرى، ذكّر الشعراوي المسلمين بالحرص في اعتبار المعنى وفهم كل ما ينسب إلى الله، وخاصة ما هو مكتوب في آيات القرآن مثل يد الله، وعين الله، ووجود الله ، ووجه الله، وما إلى ذلك، وكلها لا يمكن مساواتها بالبشر ولن تخرج أبدًا من قوله تعالى (ليس كمثله شيء). صرح الإمام مالك أن "استوى" هو شيء يمكن معرفته، ولكن كيف بدقّته ليس بمعلوم، والسؤال عنها بدعة لأن ذلك سيجعل الناس يسألون أكثر من أيئلة التي سيغرق الجاني في النهاية إلى تعطيل وتشبيه صفة الله سبحانه وتعالى.

وهل سأل أحد من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن معنى الاستواء؟ . . لا؛ لأنهم فهموا المعنى، ولم يعلق شيء من معناها في أذهانهم حتى يسألوا عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إنهم فهموها بفطرتهم التي فطرهم الله عليها في إطار ما يليق بجلال الله وكماله. وإن قال قائل: أرسول الله كان يعلم المعنى أم لا يعلم؟ . . إن كان يعلم لأخبرنا بها، وإن لم يخبرنا فقد أراد أن يكتمها. وإن لم يكن قد علم الأمر. . فهل تطلب لنفسك أن نعلم ما لم يعلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أو أنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك لكل واحد أن يفهم ما يريد ولكن في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} والذين يمنعون التأويل

يقولون: إياك أن تؤول اليد بالقدرة؛ لأنه إن قال: إن له يداً، فقل ليست كأيدينا في إطار {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ؛ لأنه سبحانه له حياة، وأنت لك حياة، أحياته كحياتك؟ . لا، فلماذا إذن تجعل يده مثل يدك؟ . . إذن لابد أن ندخل على كل صفة لله فننفي عنها التعطيل وننفي عنها التشبيه. وآية الاستواء على العرش هذه، مذكورة في سور كثيرة، وهي تحديداً في «سبعة مواضع» ؛ في سورة الأعراف التي نحن بصددها، وسورة يونس، وسورة الرعد، وسورة طه، وسورة الفرقان، وسورة السجدة، وسورة الحديد.[١٠]

في تفسيره، بحث الشعراوي أيضًا كيفية استجابة أصحاب النبي عند مواجهة آية المتشابهات المتعلقة بالكلمة "استوى". هل هذه الآية يشككونهم؟ هل سأل أحدهم رسول الله عن معنى ذالك الكلمة؟ الجواب لا، لأنهم يفهمون معنى بالفطرة التي أعطاها الله ولا يفهمونها إلا على أنها شيء يستحق جلالة الله سبحانه وتعالى. إذا عرف رسول الله المعنى، فسيقوم بالطبع بإعلامه وإعلامه لأصحابه، ولكن إذا لم يفعل ذلك، فلا بد من وجود سبب وراء ذلك. ربما يكون أحد الأسباب هو معرفة من يفهمها وفقًا لكلام الله (ليس كمثله شيء) وليس خارج الحدود، مثل الأشخاص الذين يؤولونه أو يحرم التأويل. يميل الأشخاص الذين يؤولون الكلمة المتشبهة إحتياطا في تحديد المعنى حتى لا يقعوا في هاوية المتشابهين أو المتعطلين، وكلاهما من أعمال المتطرفة غير المسموح بها في العقيدة الإسلامية.

[١٠] محمد متولى الشعراوى, *تفسير الشعراوى* جزء ٧ ..., ٤١٦٨- ٤١٧٠.

في هذه الحالة، واضح جدًا كيف يجتهد الشعراوي الكشف عن معنى آية المتشابهات إلى المعنى الصحيح بخطوات دقيقة. فيما يلي الخطوات التي اتخذها الشعراوي:

أ) بحث الشعراوي عن الآيات القرآنية المتعلقة

ب) وارتبطها بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ورواية الصحابة

ت) ثم بحث ذالك المعنى في اللغة.

ث) تطابق المعنى بالمصطلحات. في هذه الحالة، ميل الشعراوي باستخدام الكناية لوسيلته.

ج) اتفاق العلماء، وبعد ذالك ماثل الشعراوي مع التعابيرات اللغوية لتسهيل الفهم.

٤. الفتح/٤٨: ١٠ عن يد الله

والبحث التالي هو آية المتشابهات عن يد الله سبحانه وتعالى. وهو موجود في سورة الفتح الآية ١٠. وقد سبق أن أشير إلى كيفية شرح الشعراوي لمعنى الكلمة عندما فسر آية مشابهة بهذه الآية. هذا هو فهم الشعراوي المتعلق بالبحث الأساسي في سورة الفتح الآية ١٠:

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)

قال: ((يد الله فوق أيديهم...)) أى: فوق الأيدى التى امتدت لتبايع رسول الله, فكانت يد الله فوق يد الجميع, لأن المنة هنا من الله فلا نظنوا المنة منكم بأن بايعتم, بل المنة من الله عليكم, ويده فوق أيديكم وهو الذى ساق لكم هذا الخبر الذى يسعدكم فى الدنيا وفى الآخرة. واليد هنا ليست هى اليد التى نعرفها كأيدنا, بل هى يد المنة والمعروف, كما تقول مثلا: فلان له عليّ يد. يعنى: نعمة أو مكرمة وجميل.[١١]

هذه الآية تشرح الأعمال الصالحة التي قام بها المسلمون للنبي أثناء اتفاق العهد الهديبية على جهاد كفار قريش مكة. والبايعات التي أشار إليها الله في هذه الآية هي بيعة الرضوان، حيث بايع الصحابة رسول الله حتى لا يهربوا منه مع بقاء القليل منها. فلما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعوا الله في الحقيقة. ثم قال الله تعالى "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" لتأكيد على أن النصر الذي نالوه لم يكن بسبب بيعتهم، ولكن الهدية والسلطة قد أعطاهم الله وهو الذي بشر هذا الخبر

---

[١١] محمد متولى الشعراوى, تفسير الشعراوى جزء ٢٣ ...,, ١٤٣٩٢.

لإسعاد المسلمين في هذا العالم والآخرة.

هنا يشرح الشعراوي أن معنى يد الله هو قدرة الكرم والنعمة والعطية والمنّة واللطف والخيرية التي يعطيها الله للبشر. ويماثل الشعراوي أيضًا معنى هذه الآية بعبارة تقول: "فلان وفلان له يد علي"، وهذا التعبير يظهر أن فلان وفلان له فضل وشرف ولطف مع نفسه. .

والإستنتاج من البحث السابق أن الشعراوي تأوَّل على الكلمة "يد" بالمعاني المناسبة الائقة على ذاته الله تعالى. بالإضافة إلى ذلك، وكما نبحث في الباب السابق فإن أحد ألوان تفسير الشعراوي هو أسلوب لغوي يركز أيضًا على التحليل اللغوي، فليس من المستغرب أن يتحذر الشعراوي حذرا شديدا في خطوات منهجي في تفسيره، مثل البدء بالمعاني اللغوية، والمصطلحات ، والاتفاق العلماء، ومقارنتها أو ارتباطها بشيء عقلاني يسهل فهمه.

ج. تفسير الشيخ محمّد متولي الشعراوي عن القدر

البحث الأخير في هذا بحث العلمي هو تفسير الشعراوي بمسألة القدر. كما هو معروف، هناك مجموعتان لديهما فهم مختلف للتقدير، حتى تميل إلى أشياء متطرفة.

الأول: فرقة القدرية، وهم الذين يؤمنون بأن الإنسان يخلق أفعاله، سواء كانت حسنة أو سيئة، ولا تدخل من الله. بمعنى أنهم لا يؤمنون بالقدر الذي قد قرّره الله في الأزلي لأن كل الأعمال تقوم على الإنسان نفسه. يلتزم أتباع القدرية أيضًا بمفهوم حرية الإرادة من خلال إنكار قدرة الله في جميع الأعمال البشرية أو العدالة استجابةً لمغفرة المذنبين. وبحسب القدريين، فإن كل سلوك بشري يتم بمحض إرادته وله سلطة فعل الخير والشر. لذلك عندهم يحق للإنسان الحصول على الثواب في يعني الجنة عن الخير، والإثم بجهنم للشر. لكن هذا مجرد مظهر من مظاهر فهمهم لا علاقة له بتقدير الله. إن فهم القدر عند القدرية هو حكم خلقه الله للكون وكل محتوياته، وكل ما يحدث هو مظهر من مظاهر حكم الله المعروف بسنة الله. تجادل القدرية بأنه لا يوجد سبب صحيح للاعتماد على جميع أفعال البشر في أفعال الله، حتى أنهم يأكّدون هذا الفهم بالحجة الشرعية في القرآن لاستخدامها كأساس قانوني رسمي لهم، وهي سورة الرعد/١٣: ١١ والكهف/١٨: ٢٩.[١٢]

والثاني: فرقة الجبرية التي فيها أفكار مخالفة لفهم القدرية. ظهرت هذه الفرقة في تطورها استجابة على ظهور فعل فرقة القدرية التي كانت شديدة التطرف. هذا يوازن أو يقدم خطابًا مضادًا

[12]Suhaimi, “Integrasi Aliran Pemikiran Keislaman: Pemikiran Qadariyah dan Jabariyah yang Bersandar Dibalik Legitimasi Al-Qur’an,” *Jurnal El-Furqania*, Vol. 04, No. 02, Agustus 2018, 111-113.

للرأي أو الفهم الذي طرحه القدرية الذي ينفي دور الله في جميع الأعمال البشرية.[١٣] بحسب الجبرية، ليس للإنسان دور في إدراك أفعاله. الإنسان ليس لديهم القدرة والإرادة والاختيار في أفعالهم. إن الله هو من خلق الأفعال البشرية كما خلق الله الجماد. تُنسب إليه الأفعال على أنها مجاز فقط، كما يحدث للأشياء الجامدة الأخرى. الثواب والتعذيب يقبله الإنسان بالجبر وكذلك التكليف. وهكذا فإن فهم الجبرية هو أن أفعال الإنسان هي بالأساس أفعال الله. هذه الفرقة لها حجة قوية إلى حد ما لأنها تضفي الشرعية على فهمها بأحكام الآية القرآنية، وهي الحديد/٥٧: ٢٢.[١٤]

لمعرفة الاتجاه الذي يتجه إليه تفسير الشعراوي في هذه الحالة، هل يميل إلى أن يكون أحدهما أم في موقع وسطي بينهما؟ ستبحث الباحثة تفسيره للآيات التي استخدمت كمراجع رئيسية من قبل المجموعتين كما سبق ذكره، وهما سورة الرعد/ ١٣: ١١ والكهف/١٨:٢٩ (فرقة القدرية)، سورة الحديد/٥٧:٢٢ (فرقة الجبرية). كما يلي هو تفسير الشعراوي لهذه الآيات:

[13]Suhaimi, “Integrasi Aliran Pemikiran Keislaman: Pemikiran Qadariyah dan Jabariyah yang Bersandar Dibalik Legitimasi Al-Qur’an,” ..., 115.

[14]Ahmad Ismakun Ilyas, “Sejarah Perdebatan Hakikat Perbuatan Manusia Sebuah Telaah Deskriptif Analitik,” *Jurnal Al-Turas*, Vol. 10, No. 1, Januari 2014, 55.

١. قدرية

أ) القرآن سورة الرعد/١٣: ١١

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)

عند القدرية، تظهر هذه الآية أن الله لا يستطيع أو لا يملك القدرة ليغير نصيب الإنسان ما لم يغيروا بأنفسهم. يقولون إن قدرة الله في هذا الشأن غير موجودة، لأن كل شيء قد أُعطي للإنسان.[١٥] وبعد ذلك سنرى كيف يفسر الشعراوي هذه الآية:

ويتابع سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... } [الرعد: ١١]
وهو سبحانه الذي خلق الكون الواسع بكل أجناسه؛ جماداً ونباتاً وحيواناً وأفلاكاً وأملاكاً؛ وجعل كل ذلك مُسخَّراً للإنسان؛ ثم يحفظ الحق سبحانه الإنسان ويصونه بقيوميته. وقد يقول قائل: ولماذا إذن تحدث الابتلاءات لبعض من الناس؛ رغم أنه سبحانه قد قال إنه يحفظهم؟ ونقول: إن تلك الابتلاءات إنما تجري إذا ما غَيَّر البشر من منهج الله؛ لأن الصيانة تُقوِّم ما قام بالمنهج. واقرءوا قَوْل الحق سبحانه: {وَضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجوع والخوف بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢]. وهكذا نعلم أن الصيانة للإنسان والحفظ له والإمداد له من قبل أن يُولَد؛ كُلُّ ذلك لن يرجع عنه الله مادام الإنسان يمشي على صراط

---

[15]Sirajuddin Abbas, *I'tiqad Ahlussunah Wal Jamaah* (Jakarta: Pustaka Tarbiyah Baru, 2010), 262.

مستقيم؛ لكن إذا ما حَادَ الإنسان عن الصراط المستقيم؛ فيلفته الله ببعض من العِبَر والعظات ليعود إلى الصراط المستقيم.

قبل أن يبدأ الشعراوي تفسيره لهذه الآية، أولاً أوضح أن كل المسلمين يعرفون أن كل شيء في الكون من الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم والبشر والحيوانات والنباتات وغيرها هي خلق الله سبحانه وتعالى. هو الذي ينظم ويحافظ على كل شيء. ثم بحث الشعراوي سؤالاً ربما يكون قد خطر ببال شخص ما، لماذا أرسل الله مصيبة/البلاء لبعض الناس وهو قال إنه سيحفظهم؟ المصيبة/ البلاء هنا لا تشير إلى الإيجابيات (الحسنة)، مثل محو ذنوبهم أو رفع درجاتهم، بل المصيبة التي تنزل عقاباً لهم بسبب أفعالهم. أوضح الشعراوي أيضًا أن هذه المصائب لن تحدث إلا إذا تغير البشر/ ابتعدوا عن منهج التي وضعها الله. يستشهد الشعراوي بآية قرآنية لمثال وثيق المرتبط بهذه المسألة، وهي سورة النحل الآية ١١٢ التي تحكي عن بلد ينعم بوفرة بالإضافة إلى الأمن والسلام، ولكن أهلها ينكرون هذه النعم، أي عدم استعمالها بمنهج الله. وبسبب هذا الظلم أنزل الله عليهم البلاء أو المصيبة من جوع وخوف بسبب أفعالهم.

فهذه الآية تدل على درس إذا إجتهدنا فهمها، أي أن الله اعتنى بكل شيء لرفاهية البشر حتى قبل أن يولد في العالم، وهو الذي أرسل لهم من الملائكة الحافظة. أما إذا انحرف الناس عن

الصراط المستقيم بإهدائه فمن الطبيعي أن يوبخهم الله تحذيراً حتى يعودوا إلى الصراط المستقيم.

وبعد ذلك سنرى الشعراوي يشرح كيف تحدث التغيرات في البشر؟

والتغيير الذي يُجرِيه الله على البشر حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم؛ يشمل الإمدادات الفرعية؛ أما الإمدادات الأصلية فلا يمنعها عنهم مثل الشمس والقمر والنجوم والهواء؛ ولم يمنع الأرض أن تُخرجِ لهم المياه. ويصيبهم في الأشياء التي من الممكن أن يسير الكون في انتظامه رغم حدوثها؛ كالمصيبة في المال أو المصيبة في النفس؛ ويظل الكون على مسيرته المنتظمة. ولهذا نجد أحد الفلاسفة وقد قال: «إن الله لا يتغير من أجلكم؛ ولكن يجب أن تتغيروا أنتم من أجل الله» .

وسبق أن قال الحق سبحانه: { ... فَمَنِ اتبع هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يشقى} [طه: ١٢٣]. وهو القائل سبحانه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ... } [طه: ١٢٤]

وأنت ترى في عالمنا المعاصر مجتمعاتٍ مُتْرَفة؛ نستورد منهم أدوات الحضارة المعاصرة؛ لكنهم يعيشون في الضَّنْك النفسي البالغ؛ وهذا ما يُثبت أن الثراءَ المادي بالنقود أو أدوات الحضارة؛ لا يُحقِّق للإنسان التوازن النفسي أو السعادة؛ وينطبق عليهم ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي رَحِمَهُ اللَّهُ: ليسَ الحمْلَ مَا أَطَاقَ الظَّهْرُ ... مَا الحمْلُ إلاَّ مَا وَعَاهُ الصَّدْر فقد يكون الثراء المادي في ظَنِّ البعض هو الحُلْم؛ فيجنح الإنسان إلى الطريق غير السَّوي بما فيه من عُمولات؛ وعدم أمانة؛ ورغم النقود التي قد يكتنزها هذا الإنسان، إلا أن الأمراض النفسية أو الأمراض العضوية تفتِكُ به. وهكذا نجد الحق سبحانه وهو يُغيِّر ولا يتغيَّر؛ فهو المُغيِّر لا المتغيِّر.

أوضح الشعراوي أن التغيرات التي تحدث في الإنسان هي تغيرات تشمل الفروعية، وليست

من الأشياء الأصلية، كالشمس والقمر والنجوم وما إلى ذلك. لن يستطيع الإنسان أن يمنع الشمس

من انبعاث نورها، والأرض بمياهها، والقمر بنوره، والهواء ببروده. ويمكن للإنسان أن يغير ما هو

من الأمر الفروعيّة مثل الثروة والعرش والصحة والسلام والرفاهية في نفوسهم. وأما الشيء الأصلي، أي الكون، فإن الله وحده هو القادر على تغييره وتنظيمه.

هناك عبارة مأثورة عن الفيلسوف قال: "الله لن يتغير من أجلك، لكن يجب أن تتغير من أجل الله". هذا العبارة ترمز أيضًا إلى الحب. لماذا لا؟ سيتغير المرء من أجل المرء الذي يحبه وحتى يسلم نفسه يفعل أشياء يكرهها في البداية لفرحان المرء يحبه. لكن التغيير المشار إليه في هذه الحالة هو تغيير يؤدي إلى أشياء إيجابية (حسنة)، خاصة إذا كان الغرض هو الخالق. التغييرات التي تفعله لن تجعل المرء أفضل أو أحسن فقط، بل ستجعله أيضًا أقرب ويحبّه الله سبحانه وتعالى.

بشكل عام، يؤكد الشعراوي أن المصيبة أو البلاء لن تحدث إذا فعل البشر كل شيء وفقًا لتوجيهات الله سبحانه وتعالى. كما جاء في كلمته في سورة طه الآيات ١٢٣-١٢٤ أن البشر لن يضلوا ويتأذوا إذا اتبعوا هدى الله ولن يمروا بضيق الحياة إذا لم يبتعدوا عن ذكر الله.

سابقًا في الباب الثاني، قد بحث أن كتاب التفسير الشعراوي له من لون "الأدبي-الاجتمعي"، مما يعني أن تفسيره على اتصال مباشر بحالة المجتمع في ذلك الوقت. والشعراوي هو مفسر في عصر الحديث، وبالطبع يعرف ويفهم كيف كانت حالة المجتمع متأخرة. في تفسيره هذه المرة،

كشف الشعراوي أن مجتمع اليوم اعتاد العيش في الفاخرة باستخدام آداة متطورة، سواء كانت مستوردة أو غير ذلك. يمكن القول أن هذا النوع من العادة المعيشية مثالي ويسهل إلى حد كبير عمل المجتمع. ومع ذلك في الواقع، هناك مشكلة كبيرة وراء هذه الأشياء، وهي: هل يمكننا (كمجتمع حديث) فهم حالة أنفسنا/أرواحنا؟ هل يمكن أن يضمن هذا سعادتنا؟ الجواب لا. لماذا؟ لأن الأمر كله يعتمد على كيفية إدارتنا لحياتنا من خلال بناء عقلية دينية وروح. إذا اتبعنا التعليمات التي علمها الله في الإسلام والتزمنا بها، مثل الصبر والشكر والقناعة والاستمرار في الجهاد وتسليم النتائج إلى الله، فسيكون من السهل تحقيق توازن النفوس والسعادة. من ناحية أخرى، إذا اعتبرنا الثروة المادية مقياسًا للسعادة الحقيقية وأحلامًا يجب تحقيقه، فإن الكثير من الناس يميلون إلى أن يقودوا إلى الطريق الخطأ ويتسببون في النهاية في ظهور أعراض المرض الاجتماعي والعقلي. ولذالك فاحيي الحياة بإرشاد الله، وضعي المسؤولية على صدرك لا على ظهرك، بل ضع الدنيا بين يديك والآخرة في قلبك.

وقول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... } [الرعد: ١١]

يُوضِّح لنا أن أعمال الجوارح ناشئةٌ من نَبْعِ نفس تُحرِّك الجوارح؛ وحين تصلح النفس؛ تصبح الجوارح مستقيمة؛ وحين تفسد النفس تصير الجوارح غير مستقيمة. فالحق سبحانه

وتعالى أخضع كل الجوارح لِمُرادَات النفس، فلو كانت النفسُ مخالفةً لمنهج الله؛ فاللسان خاضع لها؛ ولا ينطق رغم إرادته بالتوحيد؛ لأن النفسَ التي تديره مخالفةٌ للإيمان.

والمَثَل: هم هؤلاء الذين نسبوا الرسل الذين اختارهم الله؛ فادَّعَوْا أنهم أبناءُ الله؛ وسبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك؛ أما إذا كانت النفس مؤمنةً فهي تأمرُ اللسان أن يقول كلمة التوحيد؛ ويسعد هو بذلك؛ لكنه في الحالتين لا يعصي النفس التي سَخَّره لها الله. وهكذا تكون الجوارح مُنفعِلَة لإرادة صاحبها، ولا تنحلُّ الإرادة البشرية عن الجوارح إلا حين يشاء الله ذلك في اليوم الآخر، وفي الموقف الحق. ولحظتَها لن يستطيع أحد أنْ يسيطر على جوارحه؛ لأن المُلْك يومئذ للواحد القهار؛ وسقطتْ ولاية الفَرْد على جوارحه؛ وتشهد هذه الجوارح على صاحبها بما فعلتْه وَقْتَ أنْ كانت مقهورة لإرادته. وهكذا نعلم أن التغيير كل في النفس التي تدير الجوارح.

وبعد ذلك، يفسر الشعراوي أيضًا أن هذه الآية تشرح لنا أهمية النفس المستقيمة أو النفس التوحيدية لأن جميع الجوارح ستتبع ما تنبعث النفس.[١٦] كما نعلم، تنقسم النفس البشرية إلى ثلاثة أنواع: ١. نفس المطمئنة، ٢. نفس اللوامة، ٣. شهوة الأمّارة. من بين ثلاثة أنواع من النفس هناك الخير والشر. النفس المطمئنة هي التي توجه الجوارح لفعل الأشياء الصالحة، وبالعكس. الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بجوارح تتبع/تخضع حالة نفسه. إذا كانت نفسه مختلفة بأحكام الله سبحانه وتعالى، فلسانه لن يقول كلمات التوحيد التي ستزيد إيمانه لأنه يخالف حالة نفسه الرافضة للإيمان.

كما يشابه الشعراوي هذه المسألة كأشخاص يعتبرون أن الرسل أبناء الله أو كمسيحيين

---

١٦ النفس هنا مترادف بكلمة القلب، لأن في بعض الأحيان يكون النفس والقلب لهما المعنى المتساوية ولو بلفظ المختلفة

يؤمنون بالثالوث في تعاليمهم، على الرغم أن الله هو الذات الأقدس عن الأشياء التي لا تليق به. مثل الأطفال والزوجة وغيرهم. وكما نبحث سابقًا، إذا كان الشخص لديه نفس مؤمن أو جيد، فعندما يعلم هذا القسم مثل هذا فلسانه سيقول كلمة التوحيد التي ترفض المنكر تلقائيا. يختلف إذا كانت نفسه قد امتلأت عليها شهوة الغضب والأشياء الحقيرة، فإنه سيقول الكلمة المنكر ويؤمن بالشرك الحقيقي.

وهذا مطابق مع القرآن سورة الشمس الآيات ٧ و ٨ (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)) توضحان تلك الآيتان أن للإنسان نفس تنقسم إلى نوعين، أي النفس التي تفسدت بسبب خروجها من الطاعة والنفس الطاهرة بالتقوى. والله يعرّف بالشر ويفهمه حتى يتجنبه وكل خير فيعمله. قدمت الكلمة "فجور" قبل الكلمة "تقوى" تظهر أعظم اهتمام الله بالبشر حتى يستطيعوا من اختيار الطريق الصحيح.

وهكذا ، فإن البشر سيتبعون دائمًا ويؤدون عملًا وفقًا لحالة نفسه حتى يوم القيامة. في ذلك اليوم لا يستطيع أحد أن يتسلّط على البشر إلا الله عز وجل وسيسأل الجميع عن الأمانة التي أعطاهم الله إياهم خلفاء على الأرض. لكن الشهود في ذلك الوقت كانوا أعضاء أجسادهم. لماذا

ا؟ لأنه لا يمكن إنكار، أن أعضاء الجسد يطيعون إرادة النفس فقط ويقومون بكل الأعمال وفقًا لحالة النفس. حتى هنا نعلم أن النفس هي التي تلعب دورًا مهمًا في تنفيذ أعضاء الجسم لإحداث التغيير. بعد أن نعرف كيف وما الذي يؤثر في التغييرات في البشر، سنبحث كيف يشرح الشعراوي من يقوم بالتغييرات في البشر؟ هل يقرره البشر بأنفسهم تمامًا أم أن هناك تدخلًا من الله فيه؟

وقول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ... } [الرعد: ١١]

يَدلُّنا أنه سبحانه لا يتدخَّل إلا إذا عَنَّت الأمور؛ وفسد كل المجتمع؛ واختفتْ النفس اللوَّامة من هذا المجتمع؛ واختفى مَنْ يَقْدِرون على الرَّدْع ولو بالكلمة من هذا المجتمع؛ هنا يتدخل الحق سبحانه. وحين يُغيِّر الناس ما بأنفسهم، ويُصحِّحون إطلاق الإرادة على الجوارح؛ فتنصلح أعمالهم؛ وإياكم أنْ تظنوا أنَّ هناك شيئاً يتأبَّى على الله. ولذلك يتابع سبحانه في نفس الآية: {إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سوءا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ ... } [الرعد: ١١].

وعليكم أن تأخذوا الأمرين معاً: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... } [الرعد: ١١]. و {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سوءا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ ... } [الرعد: ١١]. ثم يقول الحق سبحانه: { ... وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد: ١١]

إياك أن تفهم أن هناك سلطة تحُول دون أن يُغيِّر الله ما يريد تغييره؛ ولن يجدوا صَدْراً حَنُوناً آخر يُرِبِّت عليهم إذا ما أراد الله بهم السُّوء، فليس هناك وَالٍ آخر يأخذهم من الله ويتولَّى شئونهم وأمورهم من جَلْبِ الخير ودَفْعِ الشر. ولذلك يقول الحق سبحانه: { ... وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد: ١١].

وفقًا للمشكلة في هذه الآية، سنرى هذه المرة كيف يفسر الشعراوي من يقوم بإجراء تغييرات على البشر. بحسب للشعراوي، فإن الله لن يغير الناس ما لم يتضرر الأمر بشكل واضح، كما تضررت أنفسهم ، وامتلأت عليهم شهوة اللوامة أو الأشياء غير الصالحة. ومع ذلك، انتبه مرة أخرى

أن الفطرة البشرية في البداية كانت تعمل الخير، ولكن لماذا انحرف البعض (من الخير إلى الشر)؟ لأنهم يخرجون من أحكام الله التي تجعل شهواتهم عاصفة. يعني، لأنهم لا يستطيعون الحفاظ على شهواتهم حتى تغلب عليهم الرغبات السيئة في النهاية، وهذا ما يسبب التغيير.

لا يتوقف إلى ذالك، بل يقول لنا الشعراوي أيضًا أن ننتبه إلى أن هذه الآية تتكون من ثلاث نقطة مهمة. أولاً، قوله تعالى عن التغيرات التي تحدث في البشر. ثانياً: شرح الله أنه إذا أراد الشر لقوم فلا أحد يرده. ثالثًا: في نهاية هذه الآية قال الله تعالى لا الوليّ لهم إلا هو. في البداية تبدو النقطة الثانية من هذه الآية وكأنها فهم الجبرية، لكن الشعراوي أوضح سابقًا في النقطة الأولى أنه يجب علينا منع اهتماماتنا من الوقوع في السيئات. في أي طريق؟ وبالطريقة التي نمتثل/نطيع أوامره، ونصلي، ونعمل وفق توجيهاته، ونتوكل النتائج إلى الله سبحانه وتعالى. من هنا يمكننا أن نرى الجانب الوسطي للشيخ محمد المتولي، وهو بصرف النظر عن الأحكام التي وضعها الله للإنسان، فإنه يأمر البشر أيضًا باختيار أن لا تسقط في الرغبات السيئة.

والخلاصة في هذه الآية هو أن الشعراوي يوجه تفسيره إلى النفس البشرية وليس إلى مشكلة القدر. في البداية خلق الله البشر بالفطرة التي تحب الفعل الخير، حتى أرسل الله عليهم من قبل

الملائكة الحافظة (وهذا على متواقف بالآية السابقة "لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّه"), ولكن يمكن أن يتغير لأنهم لا يحافظون على نفوسهم حتى تملأ عليهم النفس السيئة. عندما تصبح نفوسهم سيئة فهذا هو المكان الذي غيّر الله فيه ما كان في الأصل خيرًا إلى سيئًا.أما الوسطي الشعراوي في هذه الحالة، فإنه يظهر بوضوح عندما يشجّعنا على الاستمرار في الإختيار والدعاء والتوكل في الحفاظ نفوسنا لتجنب الأشياء السيئة التي من شأنها أن تحدثت تغييرات في الأشياء السيئة.

ووفقًا للباحثة، من الشرح الأولي إلى النهاية يمكن استخلاص الاستنتاجات في تفسير هذه الآية، أدّى الشعراوي عدة مراحل للوصول إلى الخاتمة النهائية، وفيما يلي المراحل التي قام بها:

١) قبل أن يبدأ في تفسيره، أولاً بحث الشعراوي سؤالاً عن سبب إرسال الله المصيبة/البلاء لبعض البشر رغم أنه قال في بداية هذه الآية أنه هو الذي يحفظ البشر بإرسال الملائكة الحفظة إلى كل شخص، بحيث يكون من الفطرة أن يكون العبد حباً بفعل الخير.

٢) بعد الحصول على إجابة المشكلة القديمة، تحدث الشعراوي عن كيفية حدوثها (مما أدى إلى التغييرات).

٣) ثم بدأ الشعراوي في التأكيد على أهمية الحفاظ على النفس لأن التغييرات يمكن أن تحدث عندما امتلأت في نفس الإنسان بأشياء المذمومة. ولو كانت في البداية أن الفطرة البشرية هي فعل الخير، بل ييكون سيئًا إذا انخفضت نفوسهم إلى درجة حقيرة، بحيث من هناك يتغير الله الخير إلى الشر.

٤) أخيرًا ، وبغض النظر من الأحكام التي جعلها الله وفقًا لقوله (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سوءا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ) هناك جهد بشري للحفاظ على نفوسه. ويختم الله هذه الآية بقوله (وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) وفيها دعاء وخضوع العبد لربه في مواجهة الظواهر/المتغيرات.

في هذه المرحلة الأخيرة، هي النقطة المهمة التي تظهر جانب الوسطية للشيخ متولي الشعراوي. وتفسيره شيء جديد لأن معظم الناس، وخاصة القدريون (أتباع فرقة القدرية)، يستخدمون هذه الآية دليلا لتقوية فهمهم في مسألة القدر دون النظر إلى لفظ الآية قبلها أو وبعدها. أما الشعراوي في تفسيره ينظر إلى سياق الآيات قبلها وبعدها حتى تتفق الآية بأكملها.

ب) القرآن سورة الكهف/١٨: ٢٩

غير الآية القديمة التي استخدموها القدرية لتقوية فهمهم فيما يتعلق بمسألة القدر، الآية التالية

هي سورة الكهف الآية ٢٩ التي يستخدمونها لدليل على حرية تحديد الإيمان والكفر.

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)

عند القدرية، توضح هذه الآية أن إيمان المرء وكفره يعتمدان على نفسه، وليس على الله.

في رأيهم، البشر هم الذين يقررون وليس الله.[17] فيما يلي هو تفسير الشعراوي لهذه الآية:

ثم يقول تعالى: {فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ. .} [الكهف: ٢٩] أي: ادخلوا على هذا الأساس: أن كل حَقٍّ ينزل من الله، لا أن آخذ الحق منكم، ثم أردّه إليكم، بل الحق الذي أرسلني الله به إليكم، وعلى هذا مَنْ شاء فليؤمن ومَنْ شاء فليكفر.

والأمر في هذه الآية سبق أنْ أوضحناه فقلنا: إذا وجدنا أمراً بغير مطلوب فلنفهم أن الأمر استُعمِل في غير موضعه، كما يقول الوالد لولده المهمل: العب كما تريد، فهو لا يقصد أمر ولده باللعب بالطبع، بل يريد تهديده وتأنيبه.

تحكي هذه الآية عن نوعين من الناس في رؤية الحقيقة التي بلغها الله من خلال رسوله هو النبي محمد صلى الله عليه والسلام.[18] وتختتم هذه الآية بالتهديد والعذاب لمن يرفض الحق أو ينكره. النوع الأول هم الذين يقبلون الحق، والنوع الثاني هم من ينكرها أو يرفضها. في الأساس، تأتي كل حقيقة من الله وليس من البشر لأن البشر قد يرتكبون أخطاء أحيانًا. ومع ذلك، عندما

---

[17] Sirajuddin Abbas, *I'tiqad Ahlussunah Wal Jamaah* ..., 262.

[18] المراد بالحقيقة هنا هي رسالة التي حملها النبي صلى الله عليه وسلم يعني "القرآن"

يختارون قبولها، فإن الخير والفوائد ستعود إلى أنفسهم.

وفي هذه الآية تؤدي كلمة الأمر إلى شيئين: الإيمان والكفر. يوضح الشعراوي في تفسيره أن الغرض من الأمر في هذه الآية ليس مثل الأمر الذي نفهمه عادةً، لكن الأمر المستخدم ليس في المكان المناسب. مثل يأمر الأب على ولده الذي لا يتذكر الوقت إذا كان يلعب أو الأم التي تقول لبنتها الكسول أن ينام. الأوامر مثل هذا النوع يستخدم في البلاغة لتهديد أو لتحذير المرء الذي يتحدث معه.

وهكذا في: {فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ...}[الكهف: ٢٩] وإلا لو أخذتَ الآية على إطلاقها لَكانَ مَنْ آمن مطيعاً للأمر: {فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن...}[الكهف: ٢٩] والعاصي أيضاً مطيع للأمر: {وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ..}[الكهف: ٢٩] فكلاهما إذن مطيع، فكيف تُعذِّب واحداً دون الآخر؟

فالأمر هنا ليس على حقيقته، وإنما هو للتسوية والتهديد، أي: سواء عليكم آمنتم أم لم تؤمنوا، فأنتم أحرار في هذه المسألة؛ لأن الإيمان حصيلته عائدة إليكم، فالله سبحانه غنيّ عنكم وعن إيمانكم، وكذلك خَلْق الله الذين آمنوا بمحمد هم أيضاً أغنياء عنكم، فاستغناء الله عنكم مَسْحوب على استغناء الرسول، وسوف ينتصر محمد وينتشر دين الله دونكم.[١٩]

إذا فهمنا الأمر كالمعتاد، فسيبدو الأمر كما لو أنه يريد أن يؤمن، فسوف يطيع هذا الأمر (فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن) ولكن، إذا أراد أن يعصى، فإنه يتبع هذا الأمر أيضًا (وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ) ومع

---

[١٩] محمد متولى الشعراوى, *تفسير الشعراوى* جزء ١٤...، ٨٨٨٣-٨٨٨٤.

ذلك، إذا كلاهما مطيعا فكيف يعاقب واحد منهم فقط؟ لأن اللفظ بعده يتحدث عن عذاب الظالمين لأنهم ينكرون الحقيقة التي بلغها رسول الله.

وهكذا فإن الأمر هنا يعني التهديد والتسوية. التسوية في هذه الآية تعني المساواة سواء اخترت أن تؤمن أو تكفر أو بين الإيمان برسالة النبي محمد أو لا، وكلها لا تؤثر على قدرة أو استغناء الله سبحانه وتعالى ورسوله. عندما انتصرت دعوة النبي وانتشر دين الله لم يكن بسببك. حتى إيمانك لن يؤثر على استغناء الله عز وجل.

الدليل بأن الأمر هنا يعني تهديدا لأنه إذا كان المقصود هو حرية الاختيار حسب إرادة المرء، فلن يهدد الله من يختاره أحده، وهو الكفر بعقوبة مؤلمة. بعد ذلك، ينتبه الشعراوي في تفسيره إلى اللفظ الآية التالية، على عكس مثل ما يفعله القدريون الذين لا يفهمون سوى جزء من الآية حتى يسيئون فهمهم لأنهم لا يفهمون سوى ظهيرة الآية. الآية التالية تقول:

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)

بالنظر إلى هذه الآية يمكننا أن نفهم أن المعنى من (وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ) هو تهديدا لمن يختار الكفر. لا يتوقف عند هذا الحد، بل ذكر الله أيضا العقوبة وهي جحيم المضطرب مع شراب

مثل الحديد المغلى. لفظ الآية (فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ) لها المعنى المتساوية بحديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري:

حدَّثنا أحْمَدُ بنُ يُونُسَ حَدثنَا زُهَيْرٌ حَدثنَا مَنْصُورٌ عَنْ رِبْعِيّ بن حِرَاش حدّثنا أبُو مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النبيُّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِن كَلامِ النُّبُوَّةِ الأولَى: إذا لَمْ تَسْتَبح فاصْنَعْ مَا شِئْتَ.[٢٠]

والأمر هنا بمعنى تهديدا أو إنذارا أيضا لمن يفعل بالمترف. أما الحياء المقصود فهو الحياء ارتكاب المعصية/الفاحشة، ولا يمكن للنبي أن يأمر أمته بالمعصية (الذنب).

٢. جبرية

كما أوضح سابقاً، الآية القرآنية التي كثيراً ما تستخدم دليلا لتقوية فهم فرقة الجبرية هي سورة الحديد الآية ٢٢. ولمعرفة كيف يفهم الشعراوي هذه الآية، سنرى فهمه على الفور في تفسيره:

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)

المصيبة: كل ما يصيب الإنسان ويسوءه ويخرجه عن سلامة التنعم, فاسمها يدل عليها فلا تسمى مصيبة إلا إذا وقعتْ, كالذى قال: الموت سهم أرسل إليك وعمرك بقدر سفره إليك, فالسهم أرسل بالفعل فإذا أصاب فهى المصيبة, وهى شيء الذى حكم بأنه واقع لا محالة.

[٢٠]محمد بن إسماعييل البخاري, *صحيح البخاري* المجلد ٤ (د.م: دار الفكر, ١٩٩٤), ١٣١.

فالحق سبحانه وتعالى يقول لك انظر إلى المصيبة {فِي الْأَرْضِ...٢٢} [الحديد] كالقحط والجدب والحريق والفيضانات والزلازل وغيرها {وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ... ٢٢}[الحديد] المصيبة فى النفس هي المصيبة الخاصة بالشخص كالمرض والموت وفقدان الأهل أو المال. فالمصيبة فى الأرض عامة وفى النفس خاصة, وقد تأتى المصيبة فى النفس عامة كالقحط والفيضانات, لأن الذنوب قد تحدث من الشخص فتأتى المصيبة خاصة به, وقد تعم ويقع فيها كثير من الناس, فتأتى المصيبة أيضا عامة كما حدثت الذنوب عامة.

يبدأ الشعراوي تفسيره بشرح المعنى العام للمصيبة. المصيبة هي كل ما يصيب الإنسان من ضرر ويبتعد عنه شعور الأمان والراحة. وهذا يعني أن المصيبة شيء لا تحبه النفس البشرية. ولكن، إذا لم يحدث هذا فلن يسمى عليه المصيبة. كما أن الموت مؤكد لكل إنسان، ومع لكن طالما أنه لا يزال يعيش حياته ولا يحدث شيء سيئ، فلا يُسمى ذلك المصيبة. مثال آخر كالمرء المصاب بفيروس كورونا (covid-19)، إذا كان مصابًا فهذا يسمى المصيبة، ولكن العكس، إذا كان يتمتع بصحة جيدة، فلن يسمى المصيبة.

ووفقًا لهذه الآية، يقسم الشعراوي أنواع المصائب إلى نوعين، وهما: المصيبة التي تحدث على الأرض، والمصيبة التي تحدث في نفس المرء خاصة. المصيبة التي تحدث على الأرض هي المصيبة بشكل عام يشعر بها الكثير من الناس، مثل الفيضانات والتسونامي والقحط والجفاف وانزلاق الأرضي والزلازل. أما المصيبة التي تحدث في نفس المرء هي مصيبة خاصة لا يشعر بها

إلا البشر أنفسهم، مثل الموت والمرض والسرقة والحريق والاصطدام وما إلى ذلك.

كما نعلم أن المصيبة التي أنزلها الله على الإنسان تعني شيئين، بعضهما إيجابي (من أجل الخير) والآخر سلبي (غير جيد). والمصيبة الإيجابية هي مصيبة التي أنزلها الله لرفع درجة الإنسان أو لمحو ذنوبهم. وأما المصيبة السلبية هي مصيبة التي أنزلها الله بسبب الذنوب التي ارتكبها البشر. إذا كان دائما يحفظ نفسه في طاعة الله ولكن الله يصيبه بالبلاء، فهذا يعني أن الله يريد أن يرفع درجاته ويمحو ذنوبه الماضية لأن الإنسان لا يفلت من الذنب. ومن ناحية أخرى، إذا كان من أهل المعصية ويصيب الله عليه البلاء/المصيبة، فهذا يعني أن الله يريد أن ينبهه ليرجع إلى الصراط المستقيم، وحدثت المصيبة بسبب ذنبه. تحدث المصيبة بشكل عام لأن كثير من الناس قد ارتكب ذنبا.

أما المراد بالمصيبة في هذا البحث يعني في تفسير الشعراوي لهذه الآية هي المصيبة سلبية، أي أنها مصيبة تحدثت بسبب الذنوب التي ارتكبها الإنسان.

فالحق سبحانه وتعالى قال: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ٣٠} [الشورى] وهذه من رحمة الله بعباده. ويشرح لنا هذه المسألة فى آية أخرى فيقول سبحاته: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ... ٤٥} [فاطر]. فمن

صفاته تعالى الرحمة, ومن أسمائه الرحمن الرحيم, لذالك شرع لنا مواسم للرحمات, فالجمعة إلى الجمعة, والصلاة إلى الصلاة, ورمضان إلى رمضان كفارت لما بينهن إذا اجتُبتْ الكبائر. إذن: الحق سبحانه يريد لنا الرحمة والمغفرة ولا يريد لنا العنت, والمصيبة لاتنزل إلا بما كسبت أيدى الناس. وفى موضع آخر قال سبحانه:{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ... ٤١} [الروم].

وقوله سبحانه: {مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ... ٤٥} [فاطر] دلّ على سعة رحمة الله, فلولا هذه الرحمة لهلك كلّ ما يدب على الأرض بشؤم معصية البشر ويشرح لنا هذه النقطة الحديث القدسى: ((ولولا أطفال رضّع, وشيوخ ركع, وبهائم رتّع لصببتُ عليكم العذاب صبا)) فنحن إذن مرحومون بضعفائنا, لذالك قال: بضعفائكم تُرزقون.

سابقًا قد أوضح أن المصائب على الأرض لن تحدثت إلا بإذن الله، لكنها لا تستبعد من الممكنة إذا حدثت بسبب أفعال بشر. مثل الفيضانات التي تحدثت بسبب قطع الإنسان الأشجار بلا مبالاة مما يتسبب في جعل المناطق الجميلة قاحلة بحيث لا تستطيع امتصاص الماء، تلوثت والمياه والهواء وكثير من المصيبة الأخرى التي يسببها الإنسان بنفسه. وهذا يتوافق مع قول الله تعالى في سورة الشورى الآية ٣٠ وسورة الروم الآية ٤١ التي توضح أن المصائب التي تحدثت من أجل أفعال الفاحشة (المعصية) من أيدي البشر أنفسهم، فيشعرون بعواقبها. ولكن الله يغفر كثيرا مما فعلوه من الذنوب والخطيئة والسيئة، ولا يعاقبهم على ذلك.

الله لن يظلم عباده أبداً، لكنهم يظلمون أنفسهم. كما أننا نعلم أن الله الرحمن الرحيم، لذلك يأمر عباده أن يشتغلوا أوقات الرحمة كفارة لما ارتكبوه من ذنوب. أوقات الرحمة هي ما بين الجمعة

والجمعة القادمة، من صلاة إلى الصلاة، ومن رمضان إلى رمضان المقبل. لكن بشكل عام، كل مرة نمر فيها هو وقت رحمة. في يوم نلتزم بالصلاة خمس مرات في اليوم، وفي الأسبوع نرتبط دائمًا بيوم الجمعة، وإذا أعطانا الله عمراً طويلاً في عام سنلتقي بشهر رمضان. هذا يعني أن كل مرة نمر فيها هي وقت نعمة.

ومن بين دلائل أن الحب الله العظيم لعباده كما ورد في سورة فاطر الآية ٤٥ التي توضح أنه لو كان الله قد سارع في عقاب الذنوب والعصيان التي اقترفها البشر، لكان يهلك الله كل الناس في الأرض حالا، بما في ذلك كل ما لديهم من ممتلكات وماشية. لكن الله يعطي فرصة لمن يريد أن يتوب باعترف خطأه والله يؤخر العذاب إلى الوقت الذي يحدّده. لا يتوقف الأمر هنا، بل أوضح الشعراوي تفسيره بالحديث القدسي حول أنه لولا هذه الأشياء الثلاثة، لكان الله يعاقب البشر على الفور. الأشياء الثلاثة هي الأطفال الذين ما زالوا يرضعون، والآباء المتحدّبون، والحيوانات التي تأكل العشب. لذلك فكن شاكراً لأن الله لا يزال يعطي حبه بسببهم. إن نقاط الضعف التي نمتلكها هي مصدر الرزق الذي يجب أن نشعر بالامتنان له.

لذلك يريد الله دائمًا أن يعيش عباده في محبته ومغفرته. إن الله لا يريد أبدًا ضيق عباده أو

ضيقهم. ومع ذلك، يجب علينا إمتثالا بأوامره التي قد شرعها علينا نطيعها لأننا إذا نخالفها فإننا سنجد العواقب. لا نطبقها على أنفسنا فقط، بل نطبقها أيضًا على البيئة الطبيعية، سواء في البر أو البحر. كما ذكر الله تعالى في سورة سورة الأعراف الآية ٥٦: " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا... ٥٦"

وقوله سبحانه: { إِلَّا فِي كِتَابٍ ..} [الحديد] يعنى: مسجلة عندنا مقدورة ومقضية, والفرق بين المقدور والمقضى: القضاء حكم لازم لا دخْل لك فيه, أما القدر فحكم لك فيه اختيار, ولكن الله تعالى علمه أزلا فكتبه مقدما. مثلا وزير الزراعة يقول: قدّرنا محصول القطن هذا العام كذا قنطار, ثم تأتى للقطن آفة فلا يأتى بهذا المحصول الذى حدده الوزير, لأنه يقدّر حسب علمه بظواهر الأشياء ولا دخل له بالغيبيات, لذالك يأتى تقديره خطأ.

أما الحق سبحانه وتعالى فإذا قدّر شيئا فلا بد أن يأتى الواقعُ موافقا له, فالقدر إذن شيء قدّره الله ولك فيه اختيار علم الله هذا الاختيار فكتبه قبل أن يقع منك. وسبق أن أوضحنا هذه المسألة بالمعلم الذى يتوقع لتلميذ من تلاميذه أن يكون متفوقا فى امتحان آخر العام, لقد حكم هذا الحكم بناء على ما لاحظه على تلميذه من الذكاء والاجتهاد, فالمقدمات تؤكد هذا الحكم, لكن يأتى الإمتحان ويصاب التلميذ بدوار أو شيء طارئ فلا يحقق ما توقعه أستاذه. إذن: جاءت النتيجة مخالفة لتوقع الأستاذ لخلل فى علمه, أما الحق سبحانه وتعالى فله صفات الكمال وعلمه لا خلل فيه.

وكما نعلم أن هذه الآية (سورة الحديد الآية ٢٢) توضح أن كل المصائب التي تصيب البشر على الأرض هي من أمور حددها وكتبها في كتابه (لوح المحفوظ) قبل خلق جميع المخلوقات.

وإثبات ذالك الأمر عند الله في كتابه سهل. وقال الشعراوي: إن مكتوب كل شيء من أمورنا في

كتابه ينقسم إلى قسمين أحدهما، قضى وبعضه القدر. يشرح الشعراوي الفرق بين الاثنين، القضاء هو حكم لازم لا يمكن للبشر تغييره. أما القدر هو حكم يمكن للبشر تغييره بجهودهم، لكن الله يعلم أولاً ما سيفعله سواء اختار المحاولة أم لا، لذلك فهو يسجله أولاً.

في هذه الحالة، ضرب الشعراوي مثالاً على حصيد القطن الذي قدر وزير الزراعة وصوله في عام إلى قنطار. ولكن، تأتي الآفات بشكل غير متوقع وتؤثر على غلة المحاصيل. وهكذا فإن تقدير وزير الزراعة لجملة قطن المحصود في السنة كان خاطئًا لأنه قدّره فقط على حد علمه وليس بأشياء قد تحدث (غير مرئية). مثال آخر هو كالمرء مصاب بمرض شديد تم تشخيص الطبيب أن حياته لم يبقى سوى أيام أو شهور قليلة. لكن في الواقع، لا يزال أنه قد يعيش لعدة سنوات وحتى شفى من مرضه. وبهذه الطريقة كان تقدير الطبيب لوقت وفاة المريض خاطئًا لأنه لا يقدره إلا بقدر علمه بالظهير. ولكن، إن علم الله لا يقتصر على الظاهر بل يشملها كلها.

وأما الأحكام التي كتبها الله فهي في الواقع بموافقته. سبق أن نبحث أن القدر هو شرط يمكن للبشر تغييره بجهودهم. لكن قبل أن يجربه علم الله أولاً ويسجل أنه سيحاول. مثلما يوجد حديث صحيح يقول أن صلة الرحيم يشتطيع أن يطيل العمر ويوسع الرزق. هذا هو حديثه:

حدَّثنا يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ حَدثنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابنِ شِهابٍ قَالَ: أَخْبرنِي أنَسُ بنُ مالِكٍ أنَّ رسولَ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: مَنْ أحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ويُنْسَأ لَهُ فِي أثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ. رواه البخارى[٢١]

فكان العمر/الموت والرزق هو الحكم التي حددها الله. لكن علم الله يسبق ما سيفعلونه في المستقبل. وهكذا، إذا كانوا سيصدقون في المستقبل، فقد سجل الله ذالك في كتابه (لوح المحفوظ) و سيوسعون على رزقهم وزيادة العمر. لتسهيل الفهم، يماثل الشعراوي بمثال الذي يناسب هذه المسألة، كالمعلم يتوقع أن يتفوق طالبه فلان في الامتحان النهائي لأنه بناءً على ملاحظاته، يُعرف الفلان من الطلاب الذين لديهم ذكاء ومتحمّس من الطلاب الآخرين. ولكن، لم يكن المعلم يعلم أنه عندما جاء موعد الامتحان، لم يأت فلان إلى المدرسة بسبب المرض أو أي حالة الضرورة أخرى حتى لا يحقق النتائج التي كان يأملها المعلم. لكن الله سبحانه وتعالى له صفات الكمال الذي لا تشوبه شائبة يعلم كل شيء دون استثناءً. يختلف بالعلم أو المعرفة المحدودة والقدرة البشرية.

وقد شرحنا هذه المسألة أيضا فى تفسير قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ٥} [المسد]. وقد سمع أبو لهب هذه الآيات وقد كان بوسعه أن يؤمن كما

[٢١] بدر الدين العينى, *عمدة القاري شرح صحيح البخاري* جزء ٢٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي, د.س), ٩٢.

آمن أمثاله: عمر وخالد وعمر وعكرمة, لكن هذا حكم الله أزلا وقدره الذى علمه مقدما أن أبا جهل لن يؤمن وأنه سيختار الكفر, فالله تعالى لم يفرض عليه الكفر ولكن تركه لاختياره.

وقوله تعالى: {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا.. } [الحديد] أى: من قبل أن نخلقها ونبرزها فى عالم الواقع {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)} [الحديد].[٢٢]

وبعد ذلك، شرح الشعراوي أيضًا مسألة القضاء والقدر مثل ما حدث لأبي لهب عندما علم بالوحي الذي أرسله الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أي سورة المسد أو تعرف بسورة اللهب. لكن شريعة الله الأزلي، فهو يعلم أن أبا لهب وأبو جهل سيختاران الكفر على عكس بالصحابة الآخرين عمر وخالد وعكرمة الذي اختاروا الإيمان بالله. الله لا يجبرهم على الكفر لكنهم يختارون. وكما لا يكره الله الإيمان لعباده. قال الله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٥٦ "لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"

لا يتوقف إلى ذلك، بل شرح الشعراوي أيضًا مسألة قضاء وقدر الله بإسهاب في كتاب خاص يسمى أيضًا "القضاء والقدر". هناك يتوسع الشعراوي في هذه المسألة بعميق أن البشر ليسوا المخلقين الحقيقيين لأفعالهم كما يفهمها القدرية، أو ليس لديهم الإرادة وحرية الاختيار على

[٢٢] محمد متولى الشعراوى, *تفسير الشعراوى* جزء ٢٤ ..., ١٤٩٤٩-١٤٩٥٢.

الإطلاق، بمعنى أنهم مجبرون كما يفهمها الجبرية. عند الشعراوي في كتابه، فإن البشر هم سبب الفعل وفاعل للأفعال التي يقوم بها حتى تنسب إليه هذه الأفعال، ولكن في الحقيقة الله هو الذي يجعله يفعل ذلك. بمعنى أن البشر يعيشون في القدر الذي حدده الله. ومع ذلك، يعطى البشر أيضًا خيار للقيام/الفعل أم لا (غير مجبرين).[٢٣]

وبهذا يستطيع الإستنتاج أن فهم الشعراوي مخالفا جدا عن فهم الجبرية الذي ادّعى أن الإنسان مجبر. وأكد الشعراوي أن كله قد جعله الله، لكن الله يعطى للبشر الإختيار والجهد. من هنا رأينا كيف فهم الوسطي الشعراوي الذي يوازن بين التوكل والإختيار.

---

[٢٣] محمد متولى الشعراوي, *القضاء والقدر* (الإسكندرية: دار الشروق, ٢٠٠٢), ٥٢-٦٠.